

أضواء البيان

@ 510 @ الصَّالِحَاتِ فَأُوْٓوْا لَّائِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ { وقوله تعالى : { وَلِلَّاسِ خِزِرَةٌ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا } والآيات بمثل هذا كثيرة معلومة . .

وقال بعض العلماء : تقديره خافضة أقواماً كانوا مرتفعين في الدنيا رافعة أقواماً كانوا منخفضين في الدنيا ، وهذا المعنى تشهد له آيات من كتاب الله تعالى ، كقوله تعالى : { إِنَّ السَّادِّينَ أَجْرَمُوا° كَانُوا° مِنَ السَّادِّينَ ءَامَنُوا° يَضْحَكُونَ وَإِذَا مَرُّوا° بِهِمْ° يَتَغَامَزُونَ } إلى قوله { فَالْيَوْمَ السَّادِّينَ ءَامَنُوا° مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ° عَلَى الْآسِ رَأْيُكَ يَنْظُرُونَ } إلى غير ذلك من الآيات . .

وقال بعض العلماء : تقديره ، خافضة بعض الأجرام التي كانت مرتفعة كالنجوم التي تسقط وتتناثر يوم القيامة ، وذلك خفض لها بعد أن كانت مرتفعة ، كما قال تعالى : { وَإِذَا الْكُتُوبُ أُكْرِبُ° انْتَذَرَتْ° } وقال تعالى : { وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ° } . . رافعة : أي رافعة بعض الأجرام التي كانت منخفضة كالجبال التي ترفع من أماكنها وتسير بين السماء والأرض كما قال تعالى : { وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ° وَتَرَى الْآسَ رُضَ° بَارِزَةً° } ، فقوله : { وَتَرَى الْآسَ رُضَ° بَارِزَةً° } ، لأنها لم يبق على ظهرها شيء من الجبال ، وقال تعالى : { وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً° وَهِيَ تَمُرُّ° مَرًّا° السَّحَابِ } . .

وقد قدمنا أن التحقيق الذي دل عليه القرآن ، أن ذلك يوم القيامة ، وأنها تسير بين السماء والأرض كسير السحاب الذي هو المزن . .

وقد صرح بأن الجبال تحمل هي والأرض أيضاً يوم القيامة . وذلك في قوله تعالى : { فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ° وَاحِدَةٌ° وَحُمِلَتِ الْآسَ رُضُ° وَالْجِبَالُ } . .

وعلى هذا القول ، فالمراد تعظيم شأن يوم القيامة ، وأنه يختل فيه نظام العالم ، وعلى القولين الأولين ، فالمراد الترغيب والترهيب ، ليخاف الناس في الدنيا من أسباب الخفض في الآخرة فيطيعوا الله ويرغبوا في أسباب الرفع فيطيعوه أيضاً ، وقد قدمنا مراراً أن الصواب في مثل هذا حمل الآية على شمولها للجميع . قوله تعالى : { إِذَا رُجَّتِ الْآسَ رُضُ رَجًّا° وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا° فَكَانَتْ° هَبَاءً° مُنْبَثًّا° } . .

